

## ظاهرة الثنائية في اللغة العربية

بِقَلْمِ الدَّكْتُورِ مُحَمَّدِ شَفَقَتِ اللَّهِ \*

تنطق على الربع المskون حوالي ستة آلاف لغة، وتقوم تلك اللغات بالتعبير عما في الجنان البشرية، وكل لغة من اللغات كائن حي، ولم تزل اللغات ولا تزال مستعملة لدى النوع البشري، ومن اللغات ما صار مماته أو شبه مماته على مر الأيام وتواتي العصور، لما عرض لها ما أبادها أو قلل نفوذها، وبعض اللغات معروفة وبعضها غير معروفة، أو يمكن أن نقول أقل أهمية أو أضيق نطاقاً، وقد أدت اللغات دوراً فعالاً لإتمام الحاجات البشرية ودعم أواصر القرابة ومواصلة الروابط الأخوية والودية والعلاقات الدينية والوطنية وما إليها، كما أن اللغات قامت بتنشيط حركة الترفيه والرقي للركب الإنساني في التاريخ البشري لأنها كانت الوسيلة الجوهرية لنقل الآراء والأفكار وتسجيل الحقائق والمعلومات وحفظ العلوم والمعارف وتعظيم التربية والتعليم، وكما أن الشعوب والأقوام تختلف بعضها عن البعض باختلاف المواطن والأقطار والأنساب والأحساب، والألوان والأجسام، وملامح الوجه، ومخايل الطبع، ومظاهر الحضارة وفعاليات الثقافة فكذلك اللغات البشرية المنطوق بها على المعمورة تمتاز بميزات خاصة لكون كل منها كائناً

\* أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية في جامعة بهاء الدين زكريا (ملتان).

حيث تجود في بعضها ثروة لفظية كبيرة، من ناحية القرابات الأصلية والفرعية، وما يشبهها، وبعض اللغات تختص بالرصيد اللغوي الثري بالألوان العديدة المختلطة بعضها ببعض وال مختلفة عن غيرها تمام الاختلاف طبيعة كانت تلك الألوان أو اصطناعية، ومن اللغات ما يستأهل لعذوبة ثروتها اللغوية أن تستميل إليها القلوب، وتجلب الأفادة، وتلتف الخواطر كما أن هناك لغات تصلح لبيان المواد العلمية نظراً وإطلاقاً وجديرة بتوضيح مسائل التكنولوجيا المعاصرة جدارة وافية تفي بما احتاج إليه المهتمون بفهمها والقائمون بفهمها.

ومن الخصائص التي تتميز بها كل لغة عن سواها من اللغات هو نظامها من حيث الصرف والنحو إذا الخصائص الصرفية والنحوية الخاصة بلغة ما قد لا توافق الخصائص الصرفية والنحوية الخاصة بلغة أخرى، وبما أن ظاهرة التثنية تتعلق بالنظام الصرفي والنحو، ومن المعلوم أن صرف لغة ونحوها لا تخضع لقوانينها مفردات لغة أخرى، فتنقسم اللغات من حيث وجود ظاهرة التثنية وعدمها فيها إلى قسمين إلا أنه لا بد من تحديد التثنية لغة واصطلاحاً قبل الكلام في وجودها في بعض اللغات وعدمها في بعضها الآخر.

### الثنية لغة واصطلاحاً:

الثنية لغة تفعيلة من مادتها الأصلية وهي الثناء، والثناء ناقص يأتي باعتبار الحروف التي تكون منها لأن لامه ياء كما أنه ثلثي مجرد باعتبار الحروف التي تألف منها حروفه الأصلية هي ثاء معجمة فوقها ثلاثة ونون معجمة فوقها واحدة، وياء معجمة تحتها اثنان، ويأتي

## ظاهره التثنية في اللغة العربية

ماضيه ومضارعه من الأفعال الثلاثية المجردة على قياس رمى يرمى أي ماضيه مفتوح العين ومضارعه مكسور العين.

قال ابن دريد ثنى كل شئ طيه<sup>١</sup>، وقال الجوهرى: وثنت الشيء ثانياً أي عطفه ....، وثنته أيضاً، صرفته عن حاجته وكذلك إذا صرت له ثانياً وثنته تثنية، أي جعلته اثنين<sup>٢</sup>.

وقال الفيروزى أبادى المتوفى سنة ١١٧٥هـ، ثنى الشيء رد بعضه على بعض فتثنى وانثنى: انعطف<sup>٣</sup>، وصرح الشيخ أحمد رضا، بأن ثنى الشيء يثنى عطفه ورد بعضه على بعض، وهو الأصل في المعنى، وثناء صار له ثانياً، فهو ثانى اثنين، وزاد عليه قائلًا : الثاني الذى يتلو الواحد من الأفراد<sup>٤</sup>، وذكر سعيد الخوري الشرطونى في توضيح الكلمة قائلًا: ....هذا واحد فائته أي كن ثانية....، هذا ثانى اثنين أي هو أحد الإثنين، ...، وثنى الكلمة أحقها علامة التثنية<sup>٥</sup>، وورد في المعجم الوسيط ثنى الكلمة أحق بها علامة التثنية<sup>٦</sup>.

### التثنية اصطلاحاً:

التثنية تسمى المثنى أيضاً، وهو في اصطلاح النحو اسم يدل على اثنين وينبني بزيادة ألف ما قبلها مفتوح ونون مكسورة في حالة الرفع،

<sup>١</sup>- جمهرة اللغة ٢/٥٢.

<sup>٢</sup>- الصداح ٢٢٩٤/٢، ٢٢٩٥.

<sup>٣</sup>- القاموس المحيط ٤/٤٤٧.

<sup>٤</sup>- معجم متن اللغة ١/٤٥٣.

<sup>٥</sup>- أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد ١/٩٦.

<sup>٦</sup>- المعجم الوسيط ١/١٠١.

## ظاهرة الثنائية في اللغة العربية

كما أنه يبني بزيادة ياء ما قبلها مفتوح ونون مكسورة في حالة النصب والجر، وعرف ابن يعيش الثنائية قائلاً:

اعلم أن الثنائية ضم اسم إلى اسم مثله واشتقاقها من ثنى يثنى إذا عطف يقال : ثنى العود إذا عطفه عليه، فكان الثاني معطوف وأصلها العطف، فإذا قلت قام الزيدان فأصله زيد وزيد، لكنهم إذا اتفق اللفظان حذفوا أحد الأسمين بلفظ واحد وزادوا عليه زيادة تدل على الثنائية فصار في اللفظ اسماء واحدا، وإن كان في الحكم والتقدير اسمين وكان ذلك أوجز عندهم من أن يذكروا الأسمين، ويعطفوا أحدهما على الآخر، فإذا ثنوا الاسم المرفوع زادوا في آخره ألفا ونونا، وإذا ثنوا الاسم المجرور أو المتصوب زادوا في آخره ياء مفتوحة ما قبلها ونونا مكسورة فيكون لفظ المجرور كلفظ المتصوب<sup>١</sup>، وعرفه ابن الحاجب قائلاً: هو اسم لحق آخر ألف وياء مفتوح ما قبلها ونون مكسورة ليدل على أن معه مثله من جنسه.

وكتب عز الدين التوخي في خلقيّة الثنائية اللغوية قائلاً : أن المراد بالمعنى هو ما دل على اثنين مما تكلم به العرب أو نزل به القرآن المبين، أو رواه الحديث أو ورد في كلام صدر الإسلام، ولا يفهم من ذلك كله شعراً أو نثراً إلا بفهمه حق الفهم<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> - شرح المفصل ٤/١٣٧.

<sup>٢</sup> - مقدمة عز الدين التوخي على كتاب المثنى لأبي الطيب عبد الواحد اللغوي (الصفحة ٨) علماً بأن التوخي حق الكتاب المذكور وشرحه وأكمل نوافقه.

## ظاهرة التثنية في اللغة العربية

ومما تجدر الإشارة إليه أن اللغة العربية توجد التثنية في أسمائها وضمائرها وأفعالها حتى في ماضيها ومضارعها وأمرها ونهيها ومشتقاتها ومحظوظاتها.

### تقسيم اللغات من حيث وجود ظاهرة التثنية وعدمها فيها:

ومما لا نقاش فيه أن الألفاظ المستعملة لدى ناطقي اللغات تدل إما على معنى الوحدة، وإما على معنى الكثرة باعتبار ورود تلك الألفاظ في التركيب لأن كثيراً من اللغات لها عدوان، مفرد وجمع إلا أنه هناك بعض اللغات التي لها أنظمة خاصة لا تقتصر على المفرد والجمع فحسب، بل تختص علاوة عليها بالثنية فيكون العدد فيها ثلاثة فتنقسم اللغات باعتبار وجود ظاهرة التثنية فيها وعدمها إلى قسمين:

- ١ - اللغات التي لا توجد فيها ظاهرة التثنية.
- ٢ - اللغات التي توجد فيها ظاهرة الآنفة الذكر.

وأما اللغات التي تنتهي فيها ظاهرة التثنية ف تكون ألفاظها من حيث العدد إما مفردة وإما جمعاً إلا ألفاظ أسماء الجمع، فإنها في الحقيقة مفردة لفظاً دلت على الجماعة والكثرة.

وهذه اللغات التي عدلت فيها ظاهرة التثنية إذا عبرت عن التثنية استعملت العدد الدال على اثنين مثلاً تستعمل في اللغة الإنجليزية كلمة Tow فيقال للتعبير عن هذان كتاباً.

These are Tow books

وستعمل في اللغة التركية iki فيقال للتعبير المذكور آنفاً.

Bunlar iki kitablar

## ظاهرة الثنائية في اللغة العربية

ومن الضروري الإشارة إلى أن معظم لغات العالم شرقاً وغرباً وماضياً وحاضراً تفقد هذه الظاهرة.

والملاحظ أن اللغة العربية انشعنت من فصيلة اللغات السامية التي راجت فيها ظاهرة الثنائية فيما مضى من الزمان وقد توجد بقائهاها في بعضها حتى اليوم وقد اشتراك أنظمة بعض اللغات مع العربية في استخدام الثنائية منها اللغة اليونانية القديمة واللغة السنسكريتية واللغة القوطية<sup>١</sup>.

تبين من العرض السابق أن ظاهرة الثنائية وجدت في عدة لغات بينما تجردت لغات كثيرة منها وامتازت العربية بين اللغات ذات ظاهرة الثنائية لكونها أشد ارتباطاً بالثنائية لأنها راجت فيها في الأسماء والضمائر والأفعال وامتزجت بنظامها اللغوي للعدد امتراد الشحم باللحم ولم تزل الثنائية عملة رائجة في نوادي كلام العرب منذ أن عرف التاريخ اللغة العربية ولا تزال كذلك ما عاش ناطق بلغة الضاد على وجه الأرض.

إن الثنائية من أهم ما يشحذ ذهن السامع العربي لإدراكه تعددية الشيئين بكلمة واحدة لأنهما يتبلوران في ذهنه بمجرد سماع صيغة الثنائية دون ذكر العدد الدال على اثنين لأن تصور الاثنين يصل إلى ذهنه بسهولة دون أي تردد لاعتباره تلك الظاهرة اللغوية، ولذلك من لم يعرف قواعد الثنائية واستعمالها لم يتعق في اللغة العربية ولم يستمتع بها، ولم يبلغ غاية الحظ من مطالعتها نثراً وشعراً لأن اللغة العربية تمتاز بها بين اللغات لانسجام الأصوات وانتظام الكلمات ودقة الاتزان ورقة البيان فإن كنت في حاجة إلى شاهد على ذلك فسأريك بمثال من

## ظاهرة الثنائية في اللغة العربية

كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث استعمل عدة مثنىات ببعض التركيب وهو يرغب في التسبيح قائلاً: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيقتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"<sup>١</sup>، ومن يرغب في المزيد من الاطلاع على الانسجام الصوتي للثنائية فعليه بالاستماع إلى من قرأ سورة الرحمن من التنزيل الكريم، وقد أشار الدكتور عز الدين التتوخي إلى ما في ظاهرة الثنائية من بлагة الكلام، وفصاحة البيان، قائلاً : ويعد هذا المثنى من لطائف العربية وحسن بيانها قوله في الشعر من الرنة ما يستهوي الفواد ولذا عد من محسنات البديع <sup>٢</sup>.

### حاجة المجتمع إلى ظاهرة الثنائية:

إن الحياة تكثر فيها الزوجية من المجردات كالليل والنهار، والماء والنار، كما أنه تكثر فيها الزوجية في المجردات كالخير والشر والأمن والخوف، ويحتاج الإنسان إلى التعبير عنها إما لقضاء حوائجه أو للتعبير عن خواطره، وظاهرة الثنائية تعينه على ذلك، فسبحان من خلق الأشياء والخدین والأذنین والشفتين واليدين، والقدمين وما إليها، فلو لم تكن ظاهرة الثنائية لم يكن التعبير عنها كاملاً، ولو كان التعبير عنها بدون ظاهرة الثنائية لم يف بقدر المراد.

### اعتبار بعض الناس الثنائية من خصائص اللغات غير المنقحة والرد عليهم:

اعتبر بعض كتاب دائرة معارف لاروس القرن العشرين ظاهرة

<sup>١</sup> - صحيح البخاري ٤٤٩/٨

<sup>٢</sup> - مقدمة عز الدين التتوخي ٨

## ظاهرة التثنية في اللغة العربية

الثنية من خصائص اللغات غير المنفحة<sup>١</sup>، وكيف يكون ذلك والتثنية تعبير لغوي خاص بلفظ التثنية عن شيئين وهي تمكن المتكلمين من إظهار شيئين من الأحياء والجمادات وال مجردات باستخدام لفظة على صيغة التثنية ولا يكاد المتكلم يستخدمها إلا ويتشكل شيئاً في ذهن السامع بالضبط الكامل ومن يعرض على هذه الظاهرة اللسانية وهو يفقدها ولا يعيها فاعذره لأنه لا يخيل إلى فاقد هذه الظاهرة انطباع شيئاً عند استماعه إلى صيغة التثنية ولا يتصور العاجز عن هذه الميزة اللسانية الطمأنينة التي يشعر بها المتكلم والسامع اللذان تعوداً على استخدام هذه الظاهرة.

---

<sup>١</sup> - ما تيسر لي دائرة المعارف لاروس القرن العشرين ولذلك أحيل إليها بواسطة مقدمة عز الدين التنوخي (الصفحة ٨) وقد أحال إليه كالتالي:  
Larousse XX Siccle (5/105) non cultivates.